مفكرة المترجم

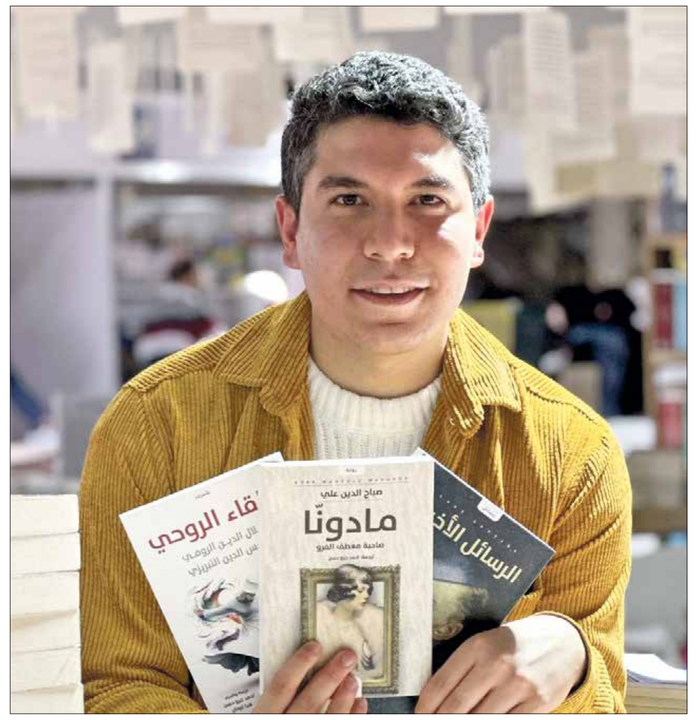

تقف هذه الزاوية مع مترجمين عرب في مشاغلهم الترجمية وأحوال الترجمة إلى اللغة العربية اليوم. «رأينا في السنوات الأخيرة محاولات عديدة في نقل الأدب التركي الكلاسيكي إلى اللغة العربية»، يقول المترجم السوري

أقضي يومي متنقلًا من لغة إلى أخرى

أحمد جيو حسن (العربي الجديد)

أحمد جيو حسن

إسطنبول ـ **العربي الجديد**

■ ما الهاجس الذي يشغلك هذه الأيام في ظل ما يجري من عدوانِ إبادةٍ على غزّة؟

أصبحت غزّة جزءًا لا يتجزّأ من يوم أيّ شخص يحمل القيمِ الإنسانية في قلبه. لم تكن هذه القضية قطّ قضية مخصوصة بالشرق الأوسط، العرب، أو المسلمين، بل هي قضية كلّ إنسان يرى هذا العدوان والظلم. على الرغم من الألم الذي نحمله بداخلنا حين نرى تلك المَشاهد التي تصل إلينا من أرض المعركة في كلّ لحظة، إلّا أنّني مؤمن إيمانًا مطلقًا بانتصار هذه القضية، قضية الأرض والوطن. ونعمل جاهدين على إيصال صوت الحقّ لمن لا يدرك ماهية هذه الأصوات، فمن يسكت عن هذا الظلم ظالم.

■ كيف بدأت حكايتك مع الترجمة؟

أعتقد أنّ لديّ هوسًا باللغات، فمع امتلاكي لغتين أمّاً (الكردية والعربية)، أتقنتُ اللغة الإنكليزية في سورية، ثمّ التركية هنا في إسطنبول، ثمّ الإسبانية بعد أن بدأتُ بها في عام 2020. وأُواصل تعلُّمي اللغات الفرنسية والإيطالية والبرتغالية بمستويات متفاوتة، ساعيًا لإتقان هذه اللغات ذات الأصل اللاتيني. وأعمل مترجماً طبّياً متعدّد اللغات، لذا يمكنك القول إنّني أقضي يومي متنقّلًا من لُغةٍ إلى غيرها. ومع زياراتي الكثيرة لمكتبة «خطوة» -التي أصبحت دار نشر فيما بعد- سنحت لي الفرصة دخول عالم الترجمة الأدبية بفضل الأستاذة نور المفتي صاحبة «دار خطوة للكتاب العربي».

■ ما آخر الترجمات التي نشرتها، وماذا تترجم الآن؟

صدرت لي هذه السنة رواية «آزياده» للكاتب الفرنسي بيير لوتّي، وكتابٌ مشترك مع الصديق المترجم والكاتب ماهر رزوق بعنوان «مجتمع بلا أب» لباول فيدرن. والآن أقوم بترجمة رواية تركية كلاسيكية سيُعلَن عنها نهاية العام الجاري.

■ ما هي، برأيك، أبرز العقبات في وجه المترجم العربي؟

يختلف أسلوب الكتابة في الأدب التركي عمّا اعتاده الجمهور العربي من أدب، وأعتقد أنّني من المترجمين الذين يحاولون الحفاظ على أسلوب الكاتب بقدر الإمكان، وهو أبرز ما أواجهه في ترجمتي، من الأدب التركي بشكل خاصّ.

■ هناك قول بأنّ المترجم العربي لا يعترف بدور المحرِّر، هل ثمة من يحرّر ترجماتك بعد الانتهاء منها؟

في ترجمتي الأُولى «الرسائل الأخيرة»، ولصعوبة أسلوب فان غوغ في الكتابة، تمّت مراجعة الترجمة من طريق الصديق ماهر رزوق، الذي زاد من جودة الكتاب بتدقيقه ومراجعته. أمّا باقي التراجم فهي تُدقَّق من طريق مدقّق لغوي فقط.

■ كيف هي علاقتك مع الناشر، ولا سيما في مسألة اختيار العناوين المترجمة؟

الأستاذة نور المفتي لها فضلٌ كبير في نجاح هذه التراجم والكتب، فهي لا تنكفئ عن قراءة كلّ كتاب بعد الانتهاء من ترجمته، والتعليق عليه وانتقاد الأخطاء أو العثرات التي أعيد تصحيحها لإخراج الكتاب بأجمل صياغة ممكنة.

> **علاقتي بالكتاب تجعلني أُخرج أفضل ما لديّ في الترجمة**

■ هل هناك اعتبارات سياسية لاختيارك للأعمال التي تترجمها، وإلى أي درجة تتوقّف عند الطرح السياسي للمادة المترجمة أو لمواقف الكاتب السياسية؟

يعتمد هذا على قيمة الكتاب عند القرّاء، ولكن لم يسبق لي سوى أن ترجمت «مجتمع بلا أب» بكونه كتاباً في علم النفس السياسي، وأراه من أهمّ الأعمال التي ترجمتُها.

■ كيف علاقتك بالكاتب الذي تترجم له؟

دائمًا ما أقول إنّ الكتب هي التي تختارني بنفسها، فكانت أوّل تجربة لي في الترجمة الأدبية مع رسّامي المفضّل فنسنت فان غوخ في كتاب «الرسائل الأخيرة»، وكان ثاني أعمالي مع كاتبي التركي المفضّل صباح الدين علي في كتاب «مادونا صاحبة معطف الفرو». وهذه العلاقة -وإن كانت خيالية- فهي تجعلني أُخرج أفضل ما لديّ في هذه التراجم.

■ كثيرًا ما يكون المترجم العربي كاتبًا، صاحب إنتاج أو صاحب أسلوب في ترجمته، كيف العلاقة بين الكاتب والمترجم في داخلك؟

لا يكفي للمترجم أن يتقن اللغة التي يترجم منها واللغة التي يترجم إليها، بل عليه أن يمتلك تلك اللغة الأدبية في الكتابة. لي تجارب كثيرة مع أدب الرسائل التي أستمرّ في كتابتها وإتلافها من حين لآخر.

■ كيف تنظر إلى جوائز الترجمة العربية على قلّتها؟

لا أهتم لها كثيرًا، أنا شغوف بآراء القرّاء التي تسمح لي بتطوير نفسي في مجال الترجمة الأدبية.

■ الترجمة عربياً في الغالب مشاريع مترجمين أفراد، كيف تنظر إلى مشاريع الترجمة المؤسساتية وما الذي ينقصها برأيك؟

في السنوات العشر الأخيرة، وبعد التقارب بين العرب والأتراك، رأينا عدّة محاولات لمؤسّسات ودور نشر في نقل الأدب التركي الكلاسيكي إلى اللغة العربية.

■ ما المبادئ أو القواعد التي تسير وفقها كونك مترجمًا، وهل لك عادات معينة في الترجمة؟

أقوم بترجمة صفحتين تقريبًا كلّ يوم. وبعد الترجمة أقوم بترديد ما ترجمته على مسمعي لأرى ما إذا كانت الصياغة جميلة وبليغة بما يكفي لتناسب أسلوب النص. ثمّ أقوم بتصويب أخطائي وعثراتي. أُترجم في الصباح الباكر أو أواخر الليل، وأستمع إلى موسيقى تناسب أجواء ما أترجمه، حتى إنّني أملك لائحة تشغيل خاصّة بالموسيقى التي سمعتُها خلال ترجمتي لرواية «آزياده» المغمورة بأجواء إسطنبول الساحرة.

■ كتاب أو نص ندمت على ترجمته ولماذا؟

لم أندم قَطّ على أيّ عمل ترجمته، سعيد وفخور جدًا بكلّ ما أنجزته.

■ ما الذي تتمنّاه للترجمة إلى اللغة العربية وما حلمك بصفتك مترجمًا؟

كان حلمي منذ ثلاث سنوات أن أُترجم ديوان «عشرون قصيدة حب وأغنية يأس واحدة» Veinte poemas de amor y una canción desesperada للشاعر بابلو نيرودا، لكن للأسف تمّت ترجمته بالفعل. أحلم الآن بالترجمة من اللغة الإسبانية، وتحديدًا من أدب أميركا اللاتينية.

بطاقة

مترجم سوري من مواليد حلب 1998، يقيم في إسطنبول. حاصل على البكالوريوس في الهندسة المدنية من «جامعة نامك كمال»، ويُعدّ الآن لإكمال أطروحته لنيل درجة الماجستير في تحليل وتصميم الأبنية المضادّة للزلازل. من ترجماته إلى العربية: «الرسائل الأخيرة» (2022) لفنسنت فان غوغ، و«مادونّا صاحبة معطف الفرو» (2023) لصباح الدين علي، وشذرات «اللقاء الروحي» (2023) لجلال الدين الرومي وشمس الدين التبريزي، و«مجتمع بلا أب» (بالاشتراك مع ماهر رزوق، 2024) لباول فيدرن، ورواية «آزياده» (2024) لبيير لوتّي (2024).

إضاءة

شتاتٌ ثقافي تجمعه اللغة

آفاق الترجمة

لا مندوحة عن توسيع مفهوم «انصهار الآفاق» لكي تُدرَج الترجمة ضمنه، بصفتها مساهمة أساسية في ترسيخه، واعتباراً لما يسم نشاطها من انفتاح على الآخر

مزوار الإدريسي

يَعلم المهتمّون بالفكر والنقد أنّ الفيلسوف الألماني هانز جورج غادامير دشّن انعطافاً تاريخياً في التأويليات، إلى جانب تأويليِّين آخرين ينتسبون إلى القرن العشرين، وأنّه برز بينهم بانتقاله من حيّز التنظير لهذا المبحث الجديد في مجال الدراسات الفلسفية والنقدية، إلى الاجتراء على تطبيق ذلك التنظير على الفنون، مبرزاً إمكان تشغيله في الأدب، خاصّة الشعر، بتقديمه أمثلة عملية على اقتدار التأويليات على الاقتراب من هذه القارّة الفنّية العصية، وبرهن على إمكان النجاح في محاورتها؛ لذلك لم يكن غريباً أن ألفيناه يعنون الكتاب - الذي أفرده لهذه التجربة النقدية المتفرّدة - بـ«القصيدة والحوار».

بالاستناد إلى «الحوار»، وهو مكوّن مركزي في النشاط التأويلي، ابتكَر غادامير، أثناء اشتغاله في هذا المجال، مفهوم «انصهار الآفاق»، الذي يروم تفعيل الحوار الإيجابي بين الأطراف المتدخّلة في عملية الكتابة، سواء كان مبدِعاً أم ناقداً أم مُعيد كتابةٍ (أي مترجِماً)، ليَكون مفهوماً يُفصح عن اعتراف صريح بمكانة كلّ طرف من هذه الأطراف، وبأهمّية الآراء التي يبديها، وباستعداده للانخراط في هذه العملية، في أفق الوصول إلى اتفاق فيما بينهم يُبنى على الثقة، ويضمن التفاهم والتعايش والسلم.

واضحٌ، إذن، من عنوان كتاب غادامير «القصيدة والحوار»، أنّ استراتيجية الحوار جوهرية في الأدب حتى يُمكن الوصول إلى أُفق مشترك، وأنّ العملية كلّها تُنجَز بوساطة اللغة، ما دام الحوار عملية تُبدي بها الذات أثناء ممارستها استعدادها للتفاعل الإيجابي بالمساهمة فيه من خلال الانفتاح على الآخر، وبقبولها الاختلاف معه في الوقت ذاته، أي بقبول اختلافه عنّا في قيمه، وفي نظرته للوجود والأشياء، وكذلك القبول بالإصغاء إليه، في سعي حثيث إلى التقريب بين الأفراد والمجتمعات، وهو ما يضمن لآفاقنا أن تنصهر مع آفاق غيرنا، بتنازل منّا ومنهم على حدّ سواء.

ولا يخفى أنّ كلّ هذه العمليّات الذهنية والأخلاقية والكتابية مشتركة بين الأدب والترجمة، لأنّ الترجمة ذات اشتباك وثيق معه، فهي بحسب جورج ستاينر، أنه «مهما كانت الأسباب الكامنة، فإن مهمتَها تقريبية وثابتة دائماً»، أي إنّها تحرص على تقريب نصوص أجنبية بإحلالها ضيفةً على ثقافة غريبة عنها لساناً وقيَماً، لتتعرّف الثانيةُ على رؤية للوجود غيريّة ومختلفة، وأنّ الجهد الترجمي حريّ بأن يحظى بالاحترام، لأنّه، وفق ستاينر مرّة أُخرى، جهدٌ خرافي، ذلك أنّ «إنتاج نصّ مطابق لفظياً للنصّ الأصلي (تحويل الترجمة إلى إعادة كتابة كاملة) هو أمرٌ يتجاوز حدود الخيال».

لنتذكّر أنّ سردية بابل تُؤكّد مسؤولية البشر في معاناتهم الشتات اللغوي، بعدما بلبل الربّ ألسنتهم، بسبب إثارتهم لغضبه، نظراً إلى عجرفتهم واجترائهم عليه؛ وكان طبيعياً أن ينجم عن الشتات اللغوي شتاتٌ ثقافي بتجلّياته المختلفة، وأن تُراهِن الترجمةُ على ذاتها وفعاليتها كي تُقرّب بين الثقافات، في محاولة صريحة لتدارك العطب، فتطمحَ إلى استعادة الحال الأُولى للبشرية قبل الشتات.

ويبدو أنّ الترجمة، مُجسَّدَةً في عمل مزاوليها، تُفصح في الواقع عن إيمانها الراسخ بفكرة «العود الأبدي» التي روّجها نيتشه، أي إنّها تُعلن تطلّعها إلى استعادة الوحدة التي شُتّتت، بترويجها خطابات ثقافات البشرية مصوغةً في ألسنة سكّان الأرض، لتجعلهم جميعاً مواكبين لما يعتمل في عالَمهم من جهة، ولتحقيق التفاهم من أجل ضمان التعايش والسلام فيما بينهم.

ولا مندوحة، إذن، عن توسيع مفهوم «انصهار الآفاق»، لكي تُدرَج الترجمة ضمنه، بصفتها مساهِمة أساسية في ترسيخه، واعتباراً لما يسم نشاطها من انفتاح على الآخر، ومن حوار مع ثقافته، ومن رضى بالتفاهم معه، ومن قبول به بالحال التي هو عليها؛ لأنّ ما تقوم به الترجمة هو صهر الآفاق الثقافية بجعل النصوص تتحاور فيما بينها، أي إنها تُقرّب الثقافات بعضها من بعض، حتى لكأنّها الأُفُق الأكبر المستقلّ بذاته، والذي يصهر الآفاق جميعها فيه.

(أكاديمي ومترجم من المغرب)

> **إنتاج نصّ مطابق لفظياً للنصّ الأصلي أمرٌ يتجاوز الخيال**

عمل نحتي لـ سلوى روضة شقير، من مجموعة «قصائد»

إطلالة

عدوّ الشعب

عباس بيضون

«عدوّ الشعب»، مسرحية إبسن الشهيرة، تُعرض للمرّة الثانية في العام على مسرح «الجامعة الأميركية» ببيروت. المسرحية، التي أخرجها لوسيان بورجيلي ومثّل فيها جوقٌ من الممثّلين يتصدّرهم فرح شاعر، عبد السلام عوجي، زياد نجار، هي هذه المرّة، وبشكل استثنائي، غير المسرحيات التي تُعرض حالياً في بيروت، هذه الآن، بخاصّة إذا عُدنا الى مسرح يحيى جابر. هي عبارة عن مونودرامات. الأرجح أنّ السبب في حشد من الممثّلين تجاوز الثلاثين، يعود الى أنّ المسرحية صادرة عن فرع المسرح في الجامعة الأميركية. هنا نجد الممثّلين بكثرة ما داموا في عمل جامعي، ولا يحتاجون إلى تمويل كبير. هذا الحشد من الممثّلين كان ضرورة إخراجية، إذا اقتضى الإخراج الإيحاء بالشعب، هذا الإيحاء كان مركز رؤية تطلّبت هذه الكثرة من الممثّلين، الذين نُصادفهم داخل العرض، وعلى أطرافه وحواشيه؛ إذ يمكن القول إنّ الجمهور الذي حضر، كان بحسب هذه الرؤية، مشتركاً في اللعبة. المسرحية تروي قصّة العالِم الذي اكتشف، بعد تحاليل مخبرية، أنّ المياه في القرية ملوّثة تُسمّم الأهالي. هذا الاكتشاف هاله، فعزم على التصريح به، وطرحه على الناس. من علموا به، وهم كثيرون، بحسب الإيحاء الإخراجي، بحيث يكاد يتراءى لنا أنّهم كناية عن الشعب، شجّعوه على عرضه. لكن هذا مضادّ لمصالح البلدية، التي يصادف أنّ رئيسها أخو العالِم. هكذا يحاول الأخ أن يغري أخاه بالسكوت عن ذلك، بوسائل إحداها شراؤه، وإدماجه في المؤسّسة الراعية لهذا المرفق، المستفيدة منه.

رغم أنّ المكان قرية والبلدية بلدية قرية، لكن المسرحية ليست، بأيّ حال، بهذا التواضع، ولا يمكن اعتبارها ريفية. لا يخفى على المُتابع أنّ القرية كناية عن المجتمع والبلدية كناية عن الدولة، وأهاليها كناية عن الشعب. في البدء يستنفر العالِم الذي قد يكون كناية عن مثقّفين، الجمهور. لكنّ النظام لا يلبث أن يتحرّك، ولا يلبث أن يعمل. هكذا تنقلب الصورة. سيكولوجية الجماهير، كما يحمل مؤلَّف غوستاف لوبون هذا العنوان، هي موضوع المسرحية.

الجمهور أو الشعب جزءٌ من نظام المصالح العليا تعمل فيه، مصالح سلطة ومال في مواجهة حشود يسهل اجتلابها، ويسهل خداعها والكذب عليها. إنّها فتنة الكلمات الكبيرة، والدعاوى التي تتقبّلها بعمىً بالغ. إبسن في مسرحيته يتبنّى رؤية كهذه للشعب والجمهور، هكذا تنقلب الأمور في النهاية. لا يُسمح للعالِم بعرض حقائقه، ويثور عليه الناس، ويوصَم في النهاية بأنّه عدوّ الشعب.

مسرحية «عدوّ الشعب» هي أيضاً الرؤية الإخراجية التي اعتمدتها. يبدأ المسرح منذ اللحظة التي يصل فيها المُشاهد إلى الجامعة. تبدأ المسرحية، يتجمّع المشاهدون في مكان واحد، ينتظرون، ثم يأتي واحد يقودهم إلى مكان حول شجرة ضخمة. ينتظرون هناك في حضور عازف على الفيولون، لينسربوا بعد ذلك في طريق ضيّق، يصعدون فيه ويهبطون إلى أن يصلوا إلى مكان دائري، حيث يجدون عازف الفيولون، وحيث تبدأ المسرحية، لكي ينتقلوا بعد فصلها الأوّل، إلى مكان يصادفون على طريقه أشخاصاً، يتكلّمون من ضمن المسرحية. هكذا يواصلون الانتقال بين أمكنة تتفاوت في سعتها وضيقها، أحدها ضيّق. نفهم عندئذ أنّهم، من حيث لم يقصدوا، جزء من المسرحية.

هذه تبدأ من أوّل حضورهم إلى الجامعة. كانت أثناء العرض، تصل من جوانب في أعلى مكان العرض، أصوات تُندّد بالعالِم، وعلى الطريق بين مكانين تستمرّ المسرحية. لنقُل إنّ المسرحية هكذا هي أيضاً الجمهور، والأمكنة التي تُعرض فيها، بل هي، على نحو ما، الأشجار والأدراج، وربما يمكننا أن نتخيّل أنّها الجامعة كلّها. من وراء العرض هناك المجتمع بكامله والنظام بأسره. الإخراج يجعل المسرحية كلّها عبارة عن كنايات. من الأصغر (القرية) نُطلّ على الأكبر (الشعب والمجتمع). المسرحية هي هكذا الخارج كلّه، المجتمع وربما الحياة بكاملها.

(شاعر وروائي من لبنان)

معرض

ألوان التأمّل والهدوء والزهد

رافي يداليان وجوهٌ تتأمّل ذواتنا

يدعو الفنّان التشكيلي والنحات اللبناني، في معرضه المقام حالياً ببيروت، إلى تأمّل الهدوء والتواصل مع العوالم الداخلية للنفس الإنسانية

من المعرض

بيروت ـ **العربي الجديد**

يتحرّك داخل كلّ إنسان عالَمٌ خاصّ، كان فرويد أوّل من عبرّ عنه عندما اكتشف عوالم اللاوعي. ويكاد يكون صعباً اكتشاف هذه العوالم دون فعلٍ خاص من التأمّل الكامل الذي يفصلنا عن العالم الخارجي ومؤثّراته الظاهرية، لا سيّما في العصر الذي نعيش فيه، حيث تكثر المغريات والمحفّزات والاختراعات التي سيطرت على عقلنا الواعي. ففي فعل التأمّل تكمن طاقات نستطيع بموجبها استكشاف القوى الدقيقة التي تُشكّل وعينا ولاوعينا على السواء.

وسط الإبادات والمجازر، وفي زمن تسود فيه الفوضى والحروب، يدعو الفنّان التشكيلي والنحّات اللبناني رافي يداليان (1973)، في معرضه «تأمّل» المُقام حالياً في «غاليري مارك هشام» ببيروت، ويتواصل حتى الخامس عشر من الشهر الجاري، إلى وقفة تأمّل موجزة، في محاولة لإيجاد الهدوء والسكنية، ومن ثمّ التواصل مع جمال العوالم الداخلية الموجودة داخل الكائن الإنساني.

يُقدّم يداليان مجموعة من اللوحات، بأحجام مختلفة، تطغى عليها الوجوه والأجساد الآدمية؛ شخوص طويلة القامة، نحيلة، وعلى وجوهها علامات التعب والإرهاق، إضافة إلى علامات الهدوء والتصوّف، لتكون مرآة لذواتنا الداخلية وتلتقط الطبيعة العابرة لأفكارنا ومشاعرنا؛ تلك اللمحة التي لا تتوقّف عن البصر والبصيرة.

إضافة إلى الشخوص والوجوه، ثمّة خيوط تمتدّ في فضاء اللوحة، إنّها خيوط تُمثّل الحياة، حياة الداخل وحياة الخارج، وهي صلة الوصل بين الأرض والسماء، بين الداخلي والخارجي، ذلك الاتصال الروحاني للإنسان مع نفسه أوّلاً، ثمّ مع القوى العليا في هذا العالَم.

ولكن، وعلى غرار الحياة نفسها، هذه الخيوط لا توجد عبثاً وفي راحة تامّة، بل إنّها محاطة بالشوك. ربّما كانت هذه الأشواك تعبيراً عن صعوبات الحياة نفسها، أو إشارة إلى أنّ برزخ الوصل بين العالم الداخلي والخارجي، بين الأرض والسماء، بين الحب والكره، بين الخير والشر، لا يمكن تجاوزه إلّا إذا اجتاز الإنسان الصعوبات وعانى من أجل ذلك، تأمّلاً وزهداً وتصوّفاً.

بين الأبيض والرمادي والأزرق، ألوان التأمّل والهدوء والزهد، تتحرّك شخصيات الفنّان اللبناني كي تُعبّر عن استقرارها الداخلي، وعن انفصاله التام عن العالم الخارجي المليء بلون الدم والوحل. بمجرّد النظر إلى الوجوه الموجودة في اللوحة، يشعر المتلقّي أنّها تتواصل معه، وتنظر إليه، في لمحة عابرة، كي تقول له: انفصل عن الخارج، وتأمّل الضوء الداخلي الموجود فيك.

لا يكتفي يداليان برسم شخوص في لوحاته، بل يُجسّدها ببؤسها ونحافتها ومخاوفها، وبوجوهها المتأمّلة والزاهدة والمتقشّفة، في منحوتات تقف أمام الأعمال التشكيلية عادةً، في محاولة أُخرى لعكس ثنائية الداخل والخارج.

يعمل رافي يداليان أستاذاً للرسم في جامعة هايكازيان ببيروت، أنجز مجموعة من الأعمال الدينية المختلفة، وشارك في العديد من المعارض الفردية والجماعية، كما يُعرض بعض أعماله في مجموعات دائمة بمتاحف في روما والبرتغال وأرمينيا ولبنان.

> **لوحاتٌ بأحجام مختلفة تطغى عليها الوجوه والأجساد الآدمية**

فعاليات

يُقيم «المتحف الفلسطيني» في بيرزيت، عند الواحدة والنصف من بعد ظُهر الأحد، 25 آب/ أغسطس، حوارية بعنوان **ناجي العلي: امتداد التجربة الفلسطينية ما بين الكاريكاتير والكوميكس**. يحاور الكاتبُ **خالد الفقيه** الفنّانَين **محمّد سباعنة** و**خالد جرادة** عن توظيف الكاريكاتير والكوميكس في تجربة ناجي العلي (1937 - 1987).

في «مركز المعارض» بالمدينة التركية، تتواصل، حتى الأحد المُقبل، فعاليات الدورة التاسعة من **معرض إسطنبول الدولي للكتاب العربي**، والتي انطلقت أمس تحت شعار **الكتاب مستقبل**. تشارك في التظاهرة قرابة 300 دار نشر من ثلاثين بلداً، وتشهد إقامة عدد من المحاضرات والندوات الفكرية والأمسيات الشعرية وحفلات توقيع الكتب.

في «مطافئ: مقرّ الفنّانين» بالدوحة، يستمرّ، حتى السبت المقبل، معرض **جيران البحر** للفنّانَين القطريَّين **وفيقة سلطان العيسى** (اللوحة) و**حسن الملّا**. يضمّ المعرض قرابة ثلاثين لوحةً متعدّدة الوسائط، تتناول البيئة والثقافة المحلّية وتُبرز تفاعلات الإنسان القطري مع بيئته الصحراوية وقُربه من البحر في آنٍ واحد.

تعرض «مؤسّسة عبد الحميد شومان» في فرعها بجبل عمّان، عند السادسة والنصف من مساء بعد غدٍ الثلاثاء، فيلم **آخر السعادة** (2022) للمُخرج العراقي **سعد العصامي**. يروي الشريط قصّة ساعي بريد يُفصل من مهنته بعد تطوُّر وسائل الاتصال في العراق، وتؤخذ قطعة من أرضه «ديةً عشائرية» على جريمة لم يرتكبها.

ثقافة

تخصّص «العربي الجديد» صفحة «نصوص الحياة والحرب من غزّة» لشعراء وروائيين ومسرحيين وفنانين من قطاع غزة، كي يعبّروا عن تفاصيل الحياة اليومية تحت القصف الإسرائيلي. هي نصوص تقول الحياة والإنسان من قلب الموت

نصوص الحياة والحرب من غزّة

نهيل نافذ الشرافي روائية

تفاصيل الخروج

من الطبيعي جداً أن تستيقظ على صوت زقزقة العصافير، وأن تفتح نافذتك فترى أشعة الشمس الذهبية تلامس عينيك الناعستين، لكن من غير المعقول أن تستيقظ على صوت الصواريخ ولا تعلم ما الذي يدور حولك، تفتح نافذة غرفتك لترى ما الأمر، أو لتعرف ما الذي يدور حولك، فلا تفهم شيئاً، وبعدها بساعتين تنقلب حياتك رأساً على عقب، ولا تعود كما كانت، أو كما اعتدت أن تكون، لم أتوقع أن تكون حرباً، عمليات عسكرية لأيام قليلة وتنتهي كما اعتدنا، لكنها بدأت من حينا، حي الكرامة. لم أكن أتخيل أنني لن أعود لبيتي مرة أخرى، أو أن أغيب عنه طويلاً، أو لا أتمكن من فتح نافذتي التي أحبها من جديد، حتى لم أتوقع أن تندفن ذكرياتي هناك في غرفتي، ويذهب كل شيء مني بلمح البصر، أشيائي الخاصة، كتبي وأقلامي، جهاز اللاب توب الخاص بي، ملابسي وحتى سريري الخاص، كل شيء دمر خلفي وأنا أحاول الهروب من الموت، لم أتمكن من أخذ كل ما يلزمني، حتى عكازي الذي أتوكأ عليه تركته هناك، واستندتُ إلى أختي لنسرع في الهروب، بأنفاس متسارعة ممزوجة بالخوف والرعب بعد أول صاروخ استطلاع سقط بقربنا، كنا نلهث ونحن نركض، حتى تسارعت ضربات قلبي، حتى أن أقدامي المتعبة خذلتني، ولم تسعفني بسرعة وغُرست في الرمال، دلفنا إلى السيارة ودار المحرك ومشينا سريعاً لا ندري إلى أين، حتى جاء الحدس، فتوجهنا إلى بيت خالتي حيث مكثنا لمدة ثلاثة أيام، قصف بيتنا في تلك الفترة القصيرة جداً، لم أكن لأتوقع أن يحدث كل هذا وبهذه السرعة من الزمن، بعدها اقترب الخطر منا، فنزحنا جميعاً إلى حي النصر قرب المجمع الإيطالي، مكثنا هناك ليلة وبعدها ذهبنا إلى تل الهوى، مكثنا ما يقارب الخمسة أيام هناك، فلحقنا الخطر مرة أخرى، فالقصف كان يدوي في كل مكان في غزة، والموت بالمجان، عاودنا الرحيل والنزوح مرة أخرى جميعاً إلى المجمع الإيطالي من جديد.

المكان موحش، غير مهيأ للحياة، ولا أمان فيه، أصوات القصف تزلزل جميع أركان المكان، لكن لا مكان آخر نذهب إليه لننجو بأرواحنا، كنا أكثر من عائلة هناك، كنا نحاول أن نلهو لنخلع الخوف من قلوبنا، نجتمع في ممرات المجمع وبعيداً عن الشبابيك، نجلس نتسامر ونغني بعض الأغاني الوطنية، ونصفق لنتناسى الخوف، نسمع صوت القصف المرعب، فنصرخ ومن ثم نضحك، وكأننا اعتدنا كل هذا، ومن يعتاد الخوف، نحن نضحك على أنفسنا لنعتاد الحياة، ونقول غداً تنتهي الحرب، لكننا مكثنا هناك ما يقارب العشرين يوماً، لا أعلم كيف مضوا بهذه السرعة. كان كل يوم يمر علينا والقلق يسري في أجسادنا، والخوف يرعش أطرافنا، لم نكن نتوقع أن الحرب ستطول كل هذه الفترة، فلم نعتد على كل هذا، كنا نستقيظ كل مرة نتحسس أجسادنا المرتعشة من شدة القصف والخوف، وننظر إلى وجوه بعضنا البعض، ثم نضحك ضحكتنا البائسة ونقول لا زلنا على قيد الحياة، فكم من مرة استيقظنا ليلاً من شدة القصف نرتدي (منديل الصلاة) الذي يكون بجانبنا تحسباً من أي هروب فجائي، وكم من مرة هرعنا إلى الشارع بعد تهديد لمكان قريب منا، ومن ثم نعود، كل تلك الفترة وأنا أحاول التواصل مع مؤسسات ذوي الإعاقة من أجل الحصول على كرسي متحرك بعد أن فقدتُ أداتي المساعدة وأصبحت تحت الركام، كنتُ أود الحصول على كرسي لأتحرك به سريعاً عند وقوع أي خطر، أو إذا قررنا التوجه إلى الجنوب كما أمر جيش الاحتلال مشياً على الأقدام بعد أن منعوا دخول السيارات إلى المنطقة الجنوبية، لكن لا من مجيب، فالوضع كارثي وفي غاية الصعوبة، والقصف يدوي في كل مكان، ومن الصعب الوصول لأي مؤسسة من أجل الحصول على كرسي متحرك.

اقترب الخطر من حي النصر، فتوجهنا إلى بيت أحد الأقارب في منطقة الزيتون، كانت منطقة خطرة أيضاً، مكثنا هناك ثلاث ليال، يتربصنا الخوف والقلق مما هو آت، قصف من كل حدب ودب، لا أمان في أي مكان، وبعد مرور ثلاثة أيام قررنا التوجه إلى الجنوب فلا مجال للرجوع للخلف أو العودة شمالاً، فالقناص مزروع في كل مكان، والرجوع إلى الخلف يعني فقدان أرواح وفقدان حياة، وربما فقدان أطراف، بحثنا عن كرسي متحرك في المدارس القريبة من المنطقة، وأخيراً وجدنا كرسيا متحركا صدئا ذا عجلات ذابلة مهترئة، لا يصلح للتنقل، لكن لا خيارات أخرى غيره، وبعد جدال مع بائع الكرسي صاحب الشعر المجعد والصوت الغليظ، اشتراه أخي منه بمئة شيكل، وعزمنا على الرحيل الى الجنوب، أخذنا القليل من الملابس التي خرجنا بها من بيتنا في أول أيام الحرب، وحملنا قدر ما نستطيع حمله من أشياء ضرورية، والماء وبعض حبات التمر، وتركنا كل شيء خلفنا وانطلقنا نحو المجهول، لا نعلم ماذا ينتظرنا بعد، وبدأنا رحلة الشقاء المليئة بالرعب والخوف.

كان يوم جمعة، كانت الشمس حارقة في كبد السماء المليئة بالدخان الأسود، كان المنظر أشبه بيوم القيامة، الناس متكدسة فوق بعضها البعض، والوجوه مكفهرة عابسة، والحيرة والتعب تأكلان ملامح الوجوه، ركبنا عربة يجرها حمار وحملنا الأشياء فوقها، وأمسكنا بأيدي بعضنا البعض خوفاً من السقوط. أوصلتنا العربة عند آخر نقطة يسمح لها بدخول العربات، وبعدها هممنا لنبدأ رحلة الشقاء الأصعب، رحلة ممزوجة بالرعب والخوف والتعب والمجهول الذي ينتظرنا، سيراً على الأقدام، جلست على الكرسي المتحرك وحملتُ فوقي الأغراض التي أخذناها معنا، لم تكن الطريق كما أتخيل يسهل مشي العربة عليها، فقد كانت الطريق مليئة بالحفر والحجارة، فلم يسعفنا الكرسي كثيراً، سقطت عنه الأغراض، وسقطتُ عنه، فقررتُ السير على الأقدام بمساعدة أختي، وضعنا الأشياء على الكرسي، وهممتُ بالسير برفقة أختي، كان المنظر وكأنه يوم الحشر، كنا نسير ولا مجال للوقوف أو أخذ بضع أنفاس، من يتوقف قد يسقط ويدوسه من خلفه، تعرقلنا كثيراً في الطريق المليء بالحجارة وأغراض الناس المبعثرة على الأرض بعد أن أسقطوها من أيديهم من شدة التعب، تشبثتُ بأصابعي المرتجفة بابنة أخي وأختي لكي لا أسقط، ولكي لا نفترق ونضيع عن بعضنا البعض، بعد أن افترقنا عن بقية العائلة، فقد أصبحت أمي في جهة، وأخي وعائلته في جهة، وأنا وأختي وابنة أخي في جهة.

أمسكنا بأيدي بعضنا البعض لكي لا نفترق ونضيع بين الزحام، اقتربنا من الدبابات في الممر الآمن الذي فتحه لنا العدو لنمر منه، كنا نرتجف خوفاً ونحن ثلاث فتيات لوحدنا، رغم الزحام الذي كان يحيط بنا، إلا أن الخوف تلبسنا جميعا، لم نستطع إلقاء ولو نظرة خاطفة على المكان الذي تقف فيه الدبابات، كنا نرتجف خوفاً وتعباً، سمعنا العدو ينادي على شاب كان يبعد عنا بضعة أميال فقط طويل القامة ذي لحية كثة يميل لونها إلى البني الغامق، اقترب منهم وكانوا يصوبون نيران رشاشاتهم باتجاهه، أخذوه بقوة وأمروه بخلع ثيابه، ولم يبق على جسده سوى الملابس الداخلية، وأوقفوه لينظر إليه جميع المارين، كم هو مؤلم الشعور وقتها، كم كنا ضعفاء حينها، وفي حدث آخر أخذ العدو أحد الشبان يرتدي قميصاً أخضر اللون كان يمشي برفقة أمه واعتقلوه أمام عينيها الدامعتين من فرط البكاء، فبدأت تولول وتصرخ وتضرب خديها بكلتا يديها المجعدتين، أظن وقتها بأن أنينها وصراخها وصل إلى عنان السماء، لكن ما من أحد رأف بحال قلبها الحزين، فلا أحد بيده حيلة لمساعدتها.

كان الجميع يمشي يحمل الراية البيضاء والهوية الشخصية، ويتمتم بآيات قرآنية تحمينا من جبروت العدو، مررنا من أمام جثث ملقاة على حافة الطريق، جثث بدأت بالتحلل وقد أكلها الذباب وحرقتها أشعة الشمس اللاهبة، يبدو أن لها عدة أيام ملقاة على الأرض هكذا، وكأنها عبرة لنا بأن الموت يحيط بنا إن فعلنا أي شيء، وأن رصاصة واحدة تخرج من فوهة بندقية العدو قد تقتل عشرة أو أكثر دفعة واحدة، فحياتنا رخيصة عند العدو لا محال، ولم يطلب منا دفع ثمن الموت حتى، فلم يتجرأ أحد على دفنها. كم كان موجعاً أن ترى ميتاً ولا تستطيع دفنه، فقط كان الجميع يترحم عليه ويمضي في طريقه، فوقوفنا وقتها خطر يهددنا ويسلب حياتنا، كنتُ أمشي والدمعة في عيني أخشى نزولها من كمية الذل الذي شعرتُ به وقتها، غنيتُ في سري «لا تسل عن سلامتي» وتذكرتُ مسلسل التغريبة الفلسطينية، وقلتُ لماذا جئنا إلى هنا، لماذا نخطئ للمرة الثانية ونترك بيوتنا وأرضنا، كنا نسير ونعلم جيداً أننا نذهب إلى المجهول، لم نكن نخطط أين سنمكث، ولم نكن نعلم كم سنبقى هنا في الجنوب، فغداً تنتهي الحرب ونعود.

مشينا ما يقارب الخمسة كيلو مترات سيراً على الأقدام، والشمس تخبط فوق رؤسنا، والعطش يجفف حلوقنا، وأجسادنا ترتعش من الخوف ، لم أكن لأعثر بعد على أمي وبقية العائلة، قطعنا منطقة الخطر التي يتمركز فيها العدو يتحامى بدبابدته المدرعة، وليزيد فوق خوفنا خوفاً ورعباً، أخذ يحرك فوهة مدفعيته في كل الاتجاهات، امتزج خوفنا بعرقنا، وارتجفت قلوبنا لحظتها، حتى لو سقطت قلوبنا منا، فلن نحظى بفرصة لإرجاعها إلى مكانها، فالموت سيكون أسرع منا لا محالة، فأسرعنا الخطى، ابتلعتُ لعابي لأبلل فمي الجاف، ثم نظرتُ إلى أقصى مدى يمكن أن تراه عيناي، فوجدتُ أمي تجلس على حافة الطريق من شدة ما لاقته من تعب، تحتضن أصغر أحفادها بيديها المجعدتين، تنتظر ظهور أحدنا. اختفى الذعر من قلبي عندما وجدتها، وكأنني طفل وجد أمه بعد أن تاهت عنه في السوق، هرعنا نحوها وقد شعرنا ببعض الاطمئنان، فبعد أن كنا ثلاث فتيات نمشي لوحدنا، وجدنا أمي فشعرنا بالاطمئنان، جلسنا قربها نلتقط بعضاً من أنفاسنا الممزوجة بالذعر والخوف، وتجرعنا القليل من الماء، وجلسنا جميعنا ننتظر ظهور بقية العائلة، لنكمل مسيرنا نحو المجهول، كانت الطريق لا تزال طويلة بعد، وعلينا أن نمشي سريعاً قبل أن يحل الظلام علينا، كنا نمشي ونلهث وتزداد حلوقنا عطشاً، فنشرب بعض قطرات الماء، ونمشي في طريقنا، هد التعب أجسادنا، كنا نسير ونلهث ونتساءل هل لا يزال الطريق طويلاً نحو الوادي، فيرد أخي والعرق ينز من جميع أنحاء جسده دفعة واحدة، (يلا امشوا لازم نصل قبل حلول الظلام).

أخيراً اقتربنا من الوادي بعد كبد ومعاناة، وقد وقعت عيني على لافتة «غزة ترحب بكم» قطعنا اللافتة وكانت غزة تختفي خلفي شيئاً فشيئاً، فتواصل أخي مع أحد الأقارب الذين خرجوا من غزة قبلنا بأسابيع، كانوا يقطنون في إحدى الأراضي القريبة من حدود النصيرات، نقلونا إلى حيث يمكثون، وصلتُ إلى هناك بخطوات ثقيلة وقد تقوس ظهري، وتهدم بنياني من شدة ما لاقيتُ من عناء وتعب، وكأنني تعرضتُ لضرب مبرح من شدة التعب في هذا المشوار الطويل، وبتنا تلك الليلة عندهم، كان المكان ضيقاً جداً، لا يكفي كل هذا العدد، أرضا فارغة لا يوجد فيها سوى غرفة واحدة ومليئة بالأغراض، افترشت النساء الغرفة الضيقة فامتلأت بأجسادهن وأجساد أطفالهن الصغار.

في تلك الليلة، كانت أرضية الغرفة مغطاة بأكوام اللحم الهزيل المتعب، فلم يكن هناك مجال لأن تقلب جسدك على الجهة الأخرى، ونام الرجال في الخارج بين الأشجار وفي العراء، لم يكن هناك الفراش الكافي لأجسادنا المتعبة من طول الطريق الموحش والمخيف، فنمنا ونصف أجسادنا على الأرض، وكل ثلاثة أشخاص على منضدة (فرشة)، قمنا لصلاة الفجر فكدنا نتخبط بأقدامنا على أجساد الصغار من كثرة الازدحام في الغرفة، حين تذهب للحمام تحتاج إلى مرافق ليذهب معك يواسيك وحشة الليل وخوف الحرب الذي عشش في قلوبنا، وجنح الظلام الذي يبتلع المكان، وظهور القطط بشكل مفاجئ في طريقك، لوقوعه في الجهة الخلفية من الغرفة، ارتجفنا ليلتها خوفاً فلا سقف فوقنا ولا صوت يعلو سوى صوت أزيز الطائرات المزعجة، وصوت القطط التي تتشاجر، وارتجفنا برداً وكأنها أربعينية الشتاء قد جاءت باكرة في شهر نوفمبر.

انشق الصباح أخيراً، ذهب الرجال لجلب بعض الحاجيات من السوق القريب، وتركوا النساء لتحضير العجين والخبز وإيقاد النار، وغسل الغسيل على اليدين، فحياتنا منذ بداية الحرب عادت مئة سنة إلى الوراء، وبدأ الصغار يمرحون في المكان ومضى كل شخص بالقيام بالمهام الموكلة إليه، فجأة حصل انفجار قريب منا، شاهدنا الشظايا تتناثر من حولنا، والدخان الأسود يتصاعد من قربنا، كنا على قاب خطوة من الموت، وبحمد الله لم يصب أحد بمكروه. حتى القصف يلاحقنا هنا بعد قطع كل تلك المسافات، علمنا أن لا مكان آمنا في كل أنحاء القطاع، وعلينا أن نهرب من الموت إلى الموت. ارتجف الصغار والكبار من شدة الخوف، وهرع الجميع ليتكدس في تلك الغرفة الضيقة، لا جدران في ذلك المكان سوى جدران تلك الغرفة لنحتمي بها جميعاً، جاء الرجال من الخارج بعد عدة محاولات فاشلة للاتصال بهم. شاهدوا الخوف على وجوهنا العابسة المكفهرة الكالحة، فقررت أمي عدم المكوث في هذا المكان ليوم إضافي، فتواصلت مع خالي الذي سبقنا إلى خانيونس، وكان قد توجه إلى جامعة الأقصى هناك، قال لنا بأن المكان آمن، فتجهزنا من أجل التوجه إلى هناك. كانت جامعة الأقصى في مواصي خانيونس قرب البحر، فزاد الخوف في قلوبنا، كان المكان مخيفا وموحشا لا أناس فيه إلا القليل، لكنه هادئ لا قصف هنا ولا صوت لأزيز الطائرات، وكأن الحرب هناك فقط في غزة، مكثنا في إحدى قاعات الجامعة، وبعد ساعات قليلة تحولت الجامعة إلى مركز إيواء للنازحين، ازدحم المكان بالناس، وامتلأت جميع القاعات، نمنا ليلتها على البلاط، وكورنا ما نحمله من ملابس كوسائد تحت رؤوسنا المتعبة، فلم نكن نملك الأغطية ولا حتى الفرش، وفي اليوم التالي تمكنا من جلب بعض الأغطية والفرش القديم من الأصدقاء، كان فرشاً مهترئاً والبعض الآخر منه متسخا ذا رائحة نتنة، لكن أجبرنا على النوم عليه، فلا يوجد بديل آخر.

> لا أتمكن من فتح نافذتي التي أحبها من جديد، حتى لم أتوقع أن تندفن ذكرياتي هناك في غرفتي

محمد جلال عيسى كاتب وناقد

مشاهدات متقطعة

هطلت القذائف.. فركض النازحون إلى تلك الحياة التي ظنوا أنَّ فيها نجاتهم .. لم نكن جباء لنموت آلاف المرات في اليوم الواحد، فقد جاء أمر الجيش بالتوجه إلى الجنوب. خلال أسابيع قليلة اقتحموا المدينة، ارتكبوا فيها كلَّ المجازر، حصدوا الكثير من طموحاتنا، أصبحنا نسترق بعض النوم من ليل تمارس فيه الحرب قذائفها على مقربةٍ منّا... وها نحن نصل إلى مشارف الشهر العاشر من نكبتنا الجديدة تلك، ما زلنا على قيد الحياة، وشلال الحب يتدفق بغزارة يروي قلوبنا الفارغة. نراقب السماء خشية من غيم من الفولاذ ينقض بصواريخه ليحولنا إلى أشلاء... نلتقي في أماكن النزوح والإيواء التي تكتظ بمن حالهم كمثل حالنا، إما أخرجوا من بيوتهم أو فقدوا بيوتهم، وسُلبت منهم مثلما سلبت منا كل أحلامنا من رؤى لحظات الألم التي نعيشها، فضجيج الانفجارات ظلّ لشهور يرسم في مخيّلتنا التابوت المناسب لجثثنا، وما زال يفعل... فنهرول بصخبٍ وخوف.

■■■

الأب يحمل طفله بحثاً عن النجاة والآلاف يهرولون مثله أيضاً في هذه الفوضى العارمة والقذائف تقتلهم وتجرحهم، لكن لا أحد ينتبه لأحد في فوضى الرعب هذه .. فقد هذا الطفل والده كما فقد ثلة أخرى من أسرته، ولم تجد تلك الأم ابنها، وذاك الشيخ يجمع أشلاء أسرته ويضمها إلى صدره في وداع مؤلم، ثم جلس على حطام بيته وهو يمعن نظره في البعيد منتظراً قدوم أشلاء بقية أفراد العائلة. نعم فالأطفال والنّساء والشيوخ سواء يدفعون ثمن تقليد أوسمة النصر وثمن الحياة. نعم رأيته بأم عيني وسمعته بأذني. أصيب خالي «أبو العبد» في قدمه اليمنى وباتت عرضةً للبتر، وكذلك تملأ الرصاصات صدره، ووجهه مطرز بالثغرات، وأما عن الجسد فأكلت منه الشظايا... كل ذلك لأنه خرج ليطمئن على زوجته وأبنائه بعدما ظلوا محاصرين خلال العدوان على الشمال وأنهكتهم الحرب وفتكت بهم.

■■■

الحرب التي لم تبقِ لهم من صورتهم عندما كانوا عائلة شيئاً واحداً، فقد غيّب وابل الصواريخ وسيل القذائف ملامحهم وأخفى الجوع محاسنهم... كانت تلك المرة الأولى التي يراهم فيها جارنا يزن منذ اندلاع الحرب والنزوح القهري. فوجئ الشاب، فقد اسمرّت بشراتهم البيضاء، وتحوّلت جلودُهم إلى اللون البني المجعَّد، ليأخذ من أعمارهم عشر سنواتٍ فوق عمرهم، فسألهم:

- إيش عمل فيكم الطوفان.

كان السؤال موجهاً نحو زوجة خالي التي كانت ربة البيت الحقيقية، عليها مسؤولية تدبير شؤون الحياة خلال فترة النزوح ولها اليد العيا في كل شيء من إيجاد الطعام إلى توفير الملبس، هكذا كان الأمر قبل الحرب وظل هكذا بعدها أيضاً. ردت

- تستغربش يا يزن من هالسواد كل أكلنا وشربنا عالنار وطول اليوم بنلم حطب (من أجل إيقاد النار).

- الله يعينكم بس أبو العبد ضعفان كثير كمان بعد الإصابة. سلامته.

هذه المرة يجيب خالي أبو العبد «الحمد لله ضعفتُ ونقص وزني، بس لم أفقد ثقتي بالله ويقيني». يهز يزن رأسه وباستغراب ينهي الحديث خالي «أبو العبد، بعد كل اللي صارلك متغيرتش!». وبعد حوار طويل وأسئلة تؤدي إلى أخرى عن أحوالهم وأحوال من بقي حياً من الجيران، ومن بقي بيته واقفاً بعدما نال ما نال من القذائف واللصوص، أخبره أبو العبد بأن هذه البسطة له وأنه صار تاجراً ويملك خيمةً.

> ضجيج الانفجارات ظلّ لشهور يرسم في مخيّلتنا التابوت المناسب لجثثنا، وما زال يفعل

عمل للفنان الفلسطيني سالم عوض

كنت أفكر في تلك الإرادة وأقول هكذا نواصل.

■■■

ذات صباح استيقظت وأنا أشتهي شربة ماءٍ، فهذا الحَرّ يحرق قلوبنا ولهيب الخيام يجفّف عروقنا، فقد جاء الصباح لتبدأ معركتي في البحث عن الماء، كجميع النازحين هنا يعانون من شحّ المياه، ويضطرون للسير لمسافات طويلة للحصول على بعض الماء علّه يروي عروقهم التي تَغلي... خرجتُ لأبحث عن الماء، كنت قد قصدت حي الأمل، فإذ بأحدهم ينادي عليّ:

أستاذ أستاذ، حازم مات.

مَنْ حازم؟

تذكرت كلَّ من اسمه حازم إلا تلميذي البريء، فقال:

حازم من الصف السابع (2).

فخارت قواي، كيف مات؟

«كان بستنى سيارة المية الحلوة وكان في ناس كثير بستنوا المية وصار قصف وتصاوب والمستشفيات فش فيهم علاج وضلّ ينزف لما مات وهيهم بيجهزوا يدفنو».. لا حول ولا قوة إلا بالله وإنّا لله وإنّا إليه راجعون، طيب وين هو الآن؟

هو بالمستشفى.

فعلمتُ أنها مشيئة الله التي أرادتني أن أكون بجواره لوداعه فقصدت المستشفى وأنا على يقين بأنّه نجا من كَبَد الطوفان.. وهنا أعادني حازم إلى يوم الأربعاء عندما سألني عن السلام والتسامح:

يا أستاذ في حالة آذاني أحد لا أرد له الإساءة من أجل الحفاظ على السلام، لكن إن العدو يريد أن يأخذ أرضنا؟

وأجبته: إن الله أمرنا بالدفاع عن أنفسنا وعدم التخلي عن حقوقنا عندما يعتدي علينا أحد، ويمكن التغاضي عن التصرفات التي لا تؤذينا ولا تؤذي من حولنا، وإن تراجع المعتدي فاسبقه يا ولدي وسامحه من أجل حفظ السلام والابتعاد عن الشر...

■■■

أعدتني لنفسي يا حازم، أعدتني لطابور الصباح، إلى ساحة المدرسة، إلى زملائي وعالمي الذي أحبّ، أقلامي وكراسة التحضير، إلى دروسي. لله درّك يا حازم، شعرتُ بوخز الخيانة يملأ صدري. اكتشفتُ أنّنا وحدنا لا شركاء معنا، الكل أصبح متعاطفاً أو متضامناً .. حتى مفرداتي تمازجت. تخلّيت طواعيةً عن الفصاحة والبلاغة، فجاة أعادني صراخ أم حازم وهي تقول: (حازم حكالي أنا هأضل أنزف لحد ما أموت زي اللي كانوا بالحاجز)، وليبكي قلبي عليك يا حازم كم تمنيت أن تعيش بسلام، تحبّ الخيل والشّعر، صوتك يلامس قلبي وأنت تسألني: (وكتيش تاخذني ألقي القصيدة في الاتحاد زي عمر ومحمد وأمير)، قلبي موجوعٌ على رحيلك يا حازم وعلى هذا الجيل الصغير الذي ينشأ في الخراب..

وبعدها أكملت معركتي في البحث عن الماء.